أثر اللغة العربية في العالم الاسلامي

للسر دنسون روس

مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن

هذه ترجمة المحاضرة الأولى من المحاضرات الثلاث التي ألقاها السر دنسون روس باللغة الانجليزية في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية إحياء لذكرى الجامعة المصرية وقد قدمه الخطابة على كل محاضرة خمسين جنيها ستسترد ترجمة المحاضرتين الأخريين تباعا في الاعداد المقبلة

تمهيد :

أشعر وأنا أختار موضوعا مثل هذا لمحاضرة في الجامعة المصرية ، انه ينطبق على المثل القائل « كمن يجلب الفحم إلى نيوكاسل » أو على حد تعبير الفرنسيين « كمن يحمل الماء الى البحر » أو كما يقول العرب « كمن ينقل التمر الى البصرة » أو « كمن يبيع الماء في حارة السقائين » .

إذ كيف يجرؤ شخص مثلي لا يخرج عن كونه تلميذاً يدرس العربية أن يقوم ببحث في هذه اللغة العظيمة على مرمى حجر من الأزهر ؟ إن اعتذاري عن هذا ينبغي أن يكون اعتذار النملة أمام عرش سليمان ..!

وربما قيل عن عنوان محاضرتي أنه تقرير لقضية مسلمة ، فالعربية لغة القرآن والحديث وتأثيرها في العالم الاسلامي حق لا ريب فيه .

ولكني أرجو أن أسوغ عنواني هذا بأن أبين تأثير اللغة العربية في تلك الممالك التي تتكلم لغات أخرى ، وتتكلمها لا على أنها واسطة لفهم العقائد وإقامة الشعائر الدينية فحسب ، بل لأنها عامل منتج من الثقافة العامة .

ذلك لأنه ينبغي أن نعلم حق العلم أن ليس ثمة دين عالمي آخر قامت فيه اللغة الأصلية للكتب المقدسة بذلك الشأن الخطير كما هو الحال في الاسلام .

فاذا اعتبرنا البوذية والمسيحية وهما ديانتان تقومان بالدعاية فاننا نلاحظ أن كتبهما المقدسة إذا أذيعت في ممالك أخرى فانما تذاع بلغة تلك الممالك . خذ لذلك مثلا تلك المجموعة الضخمة بمجموعة القوانين البوذية المعروفة باسم « السلات الثلاث » (١) فانك تجدها مقروءة في الصين واليابان مترجمة إلى لغة تلك البلاد . حقاً إن لغة الهند الأصلية قد اختفت كما اختفت البوذية نفسها من الهند .

وقل مثل هذا عن التوراة والانجيل فانهما يقرآن في الأمم المسيحية بلغة كل منها دون أن تقوم العربية أو المسيحية بأي شيء في حركات الدعاية التي تقوم بها الجمعيات الدينية .

وان اللغة الوحيدة التي يمكن مقارنتها بالعربية من حيث أنها واسطة للعالم الديني إنما هي اللغة العبرية . على أن هناك اختلافا بين الحالتين من بعض الوجوه وإن اتفقت اللغتان في أن كاتبيهما تدين بمخترعها الاسمي إلى أنها لغة الكلام المنزل من عند الله . وانا العبرية فتجد أن كل بقي من اليهود يحفظ قسطاً منها . ولكن اليهودية لا تعتبر الآن من الأديان الواسعة الانتشار وذلك على الرغم من انتشار جماعات اليهود في أنحاء العالم . وإنك لتجد طوائف وطنية منهم في الحبشة أثيوبيا لا يعرفون من العبرية إلا قليلا .

ويجب أن نذكر أني إنما أبحث في التأثير اللغوي الذي أحدثه القرآن لان رسالة النبي . وعلى ذلك فاظني أستطيع تقرير تلك الحقائق دون أن أسيء الى الحاضرين من المسيحيين واليهود .

إن التأثير الذي تركته التعاليم البوذية والكتب العبرية المقدسة في آداب الممالك البوذية والمسيحية لا يقل شأناً عن تأثير القرآن إن لم يكن أكثر في ناحية الفن .

ولكن ما حدث في الصين وفي أوربا هو أن تلك الكتب المقدسة قد أصبحت جزءاً من الآداب القائمة إذ ذاك وكانت تلك الآداب غنية بالأبحاث والموضوعات الدنيوية . وفيما يتعلق بأوربا نقول إنه لما كانت اللغات الحديثة قد اشتقت من اللاتينية والتوتونية القديمة ، فانه لما ترجم الانجيل الى تلك اللغات . أصبح ذلك الكتاب هو المؤثر الثابت فيها كما يشهد بذلك الجهد الذي بذله لوثر في وضع أساس الألمانية الراقية الحديثة .

نعم لقد لعبت اللاتينية بين الكاثوليك دوراً مشابهاً لذلك الدور الذي لعبته العربية بين المسلمين « ولكن اللاتينية لم تكن لغة التنزيل » .

الموضوع :

ولنعد الآن الى الموضوع الأساسي لمحاضرتي . وستكون الممالك التي يتناولها بحثي هي تلك التي لا يزال الاسلام سائداً فيها ولكن لا تتكلم العربية . أعني بلاد الفرس وبلاد الهند وما وراء النهر وتركيا .

إن دخول الشرق الأدنى والشرق الأوسط والهند تحت نفوذ العرب — وقد كانوا أنفسهم حديثي العهد بالدخول في الدين الجديد وقبول « الوحدانية السامية »(٢) — قد أدى الى ثورة عظيمة « في الأدب والثقافة » لا تقل في خطورتها من حيث

(١) Taripitaka or Three Baskets

(٢) Semitic Monotheism